ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية
ISSN : 1112-9727 EISSN : 2676-1661
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/459

المجلد:**08**، العدد: **01(2023)** ص: **267 - 275**

تحقيق المخطوط بين الإبداع والتشويه

Reviewing the manuscript between creativity and distortion

زين حفيظة*

جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)

hafida.zine@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2022/04/20
تاريخ القبول:
2022/11/11
تاريخ النشر:
2023/03/26

الكلمات المفتاحية:
- ✓ **التحقيق**
- ✓ **المخطوط**
- ✓ **أبو القاسم سعدالله**
- ✓ **حكاية العشاق**

الملخص:

تكتشف الأمم نفسها من خلال تراثها الذي تركته الأجيالالسابقة، لهذا اكتسب فعل تحقيق المخطوط أهمية كبيرة في تفعيل الموروث الأدبي المخطوط ومقاومة وتخطي الظروف التاريخية والثقافية والبشرية التي حجبته عن أعين الناس داخل الرفوف والصناديق والأكياس يتعرض للتلف والضياع، مما جعل مغامرة إخراجه إلى النور للتفاعل مع المتلقي بأنواعه القارئ والباحث والناقد، تحمل خطورة كبيرة على هذهالمخطوطات العذراء؛ حين لا يلتزم المحقق بالشروط والضوابط العلمية التي تحفظ للمخطوطة قيمتها العلمية والمعرفية والتاريخية والمعنوية أيضا, وبخاصة عندما نعلم أن عملية التحقيق لابد أن تتبناها هيئات علمية ومؤسسات بحثية كبرى تمتلك الوسائل المالية والبشرية الكفيلة بتحقيق أهداف علمية بهذا الحجم. لهذا, سنقف على الدور المهم لفعل التحقيق العلمي في المحافظة على هذا الموروث وبعثه من جديد في حياة الأمة بكل ما يحمله من درر علمية وفكرية وحضارية. وقد اخترنا نموذجا تطبيقيا يتمثل في تحقيق أبي القاسم سعد الله لرواية "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" لمصطفى بن براهيم.

Article info

Received
20/04/2022
Accepted
11/11/2022

Keywords:
- ✓ *Manuscript*
- ✓ *- Abu Al-qasimSaadullah*
- ✓ *- The Tale of Lovers*

Abstract :

Since nations discover themselves through their heritage, to which their previous generations have contributed, the work of reviewing the manuscript has taken on great importance in promoting the manuscript's literary legacy and in resisting and overcoming the historical, cultural and human conditions that have kept it from the public eye in shelves, boxes and bags facing damaged and lost, making the adventure of taking him out into the light to interact with the recipient, the reader, the researcher and the critic, very dangerous to these virgin manuscripts; When the reviewer fails to comply with the scientific requirements and norms that preserve the manuscript's scientific, cognitive, historical and moral value; especially when we know that the reviewing process must be followed by major scientific bodies and research institutions that possess the financial and human means to achieve scientific objectives of this magnitude.

We will therefore stand by the important role of scientific reviewing in preserving this legacy and bringing it back into the life of the nation with all its scientific, intellectual and civilizational treasures. We have chosen an application case: Abi Al-qasimSaadullah's reviewing of "The Tale of Lovers in Love and Longing"

*المؤلف المرسل:زين حفيظة

1. مقدمة

حاولنا التركيز على تحقيق المخطوط بين الإبداع والقراءات المشوَّهة والمشوّهة لنص المخطوط باعتبار التراث عامل ثورة وبناء في حاضر الأممومستقبلها، إذا ما أحسنا استعادته وإحياءه ودراسته ثم استعماله والبناء من خلاله، وبخاصة ونحن أمة لها تراث خالد ومنجزات حضارية تعتبر أصولا في مختلف العلوم، " لذا فنحن بحاجة إلى الوعي بأن إحياء هذا التراث هو مبعث فخر واعتزاز لنا بمنجزات الماضي، ودورنا الفاعل في مسيرة الحضارة الإنسانية"(عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان،1994. ص03). لكن هذه العودة إلى التراث يجب أن تكون إيجابية منتجة ليست مقصورة على مجرد " التغني بأمجاد الماضي، والاستغراق في نشوة الفخر والاعتزاز، به دون التفاعل معه على بصيرة مما قد يبعدنا عن جوهره والإفادة منه"(عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان،1994. ص32)؛ بل علينا وصل الماضي بالحاضر، ومعرفة الماضي واستثمار ما ينفع منه في بناء وتشييد الحاضر. وبما أن الأمم تكتشف نفسها من خلال تراثها الذي ساهمت فيه أجيالها الغابرة في الحضارة الإنسانية، فقد اكتسب فعل تحقيق المخطوط كتراث مادي أهمية كبيرة في تفعيل الموروث الأدبي المخطوط ومقاومة وتخطي الظروف التاريخية والثقافية والبشرية التي حجبته عن أعين الناس. ولأن التراث بأنواعه جزء من وجود الأمة وتاريخها، فيرى عبد الرحيم عسيلان أنه " مهما يكن فإن الإحساس بتراثنا المخطوط هو إحساس طبيعي بالماضي وحاجة الحاضر إليه، فالماضي والحاضر إذا كلاهما يستحوذان على أعماق شعورنا، والإحساس بقيمة هذا التراث والعمل على استثماره على الأصول والأسس العلمية التي يجني منها الواقع أزكى الثمار وأشهاها..."(عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، 1994. ص32).

نظرا لهذه الأهمية فإن مغامرة إخراج المخطوطات إلى النور للتفاعل مع المتلقي بأنواعه القارئ والباحث والناقد، تحمل خطورة كبيرة على هذه الكنوز والمخطوطات العذراء؛ وذلك حين لا تلتزم عملية التحقيق والمحقق معا بشروط التحقيق وضوابطه العلمية التي تحفظ للمخطوطة قيمتها العلمية والمعرفية والتاريخية والمعنوية أيضا، وبخاصة عندما نعلم أن عملية التحقيق تتطلب جهدا ماديا ومعنويا، والكثير من الصبر والتدقيق والمعرفة والتخصص والدراية بعلم التحقيق وبمحمول المخطوطأي النص.

لهذانطرح التساؤل الآتي: ما هي سلبيات التحقيق غير العلمي على الموروث الأدبي؟ ومن جهة أخرى سوف نقف على الدور المهم لفعل التحقيق العلمي في المحافظة على هذا الموروث وبعثه من جديد في حياة الأمة بكل ما يحمله من درر علمية وفكرية وحضارية. ونحاول إسقاط هذه المفاهيم والإجراءات علىفعل التحقيق عند أبي القاسم سعد الله وهو الذي حقق العديد من الكتب المخطوطة وأخرجها إلى النور في جهد علمي كبير لا يمكن إغفاله وتركه دون درس وتحليل. ومن الكتب التي حققها سعد الله نذكر: -أحمد بن أبي عصيدة-البجائي، رسالة الغريب إلى الحبيب- أحمد بن عمار، مختارات من الشعر العربي- الأمير مصطفى بن إبراهيم باشا، حكاية العشاق في الحب والاشتياق - اعيان من المشارقة والمغاربة تاريخ عبد الحميد بك، - عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري - محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني- منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون .

وسنركز في هذاالبحث على تحقيقسعد الله لـ(حكاية العشاق في الحب والاشتياق للأمير مصطفى بن إبراهيم باشا) لنرى تأثيره في الرواية ومدى نجاحه في هذا الجهد العلمي الذي يعتبر من أهم الحريصين على أدائه على أكمل وجه، وفق أصوله العلمية التي تنير المخطوط وترتقي به لا التي تزيد في ظلامه وضياع روحه الحقيقية.

أولا سنقوم بتحديد أهم المصطلحات والمفاهيم الإجرائية التي تعطي البحث تكاملا منهجيا، فنعرف المخطوط والتحقيق، ثم نعرف تحقيق المخطوط لنقف على أهمية تحقيق المخطوطات وأثر قراءة المخطوط كمرادف للتحقيق، وكيف تؤثر هذه القراءة سلبا على قيمة المخطوط.

2.تعريف المخطوط:

لغة: يعرفه معجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ بأنه " المكتوب بالخط لا بالمطبعة وجمعه مخطوطات: والمخطوطة النسخة المكتوبة باليد (سعد محمد الهجرسي، 1988. ص44).

اصطلاحا: يكاد يكون هناك إجماع على أن المخطوط هو " الكتاب المكتوب بخط اليد". حيث يعرف بأنه ما وصل إلينا من مؤلفات، ومصنفات مكتوبة بخط مؤلفها أو بخط أحد النُسَّاخ قبل عصر الطباعة، وفي مقابل ذلك الكتب المطبوعة التي خرجت إلينا بواسطة آلات الطباعة في العصر الحديث(عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، 1994. ص39).ومن الباحثين من يربط المفهوم بالطباعة، إلا أن هذا الربط سوف يقصي الكثير من الكنوز الهامة، وبالتالي يحرم الأجيال من الاستفادة منها باعتبار الطباعة ظهرت في مراحل مختلفة حسب اختلاف الحضارات، كما أن مفهوم الطباعة مختلف في حد ذاته من ثقافة لأخرى ومن قطر لآخر؛ هل هي الطباعة بالآلة الراقنة أم الطباعة بالمطبعة المعاصرة المتطورة، وهل الطباعة على الجلود أم على الورق القديم أم على الورق الحالي ....ولهذا سوف نحاول أن نخرج بتعريف يصلح لكل الفترات، ولا يرتبط بفترة زمنية ويسقط مع أخرى، وبخاصة مع التسارع والتطور الحالي، وهذا ما يؤكده فهمي سعد فيعرف المخطوط بأنه " كتاب لم يتم طبعه بعد، أي أنه مازال بخط المؤلف أو بخط ناسخ غيره، أو أخذت عنه صورة فوتوغرافية أو أن يكون مصورا بالمايكروفيلم عن مخطوط أصلي"(فهمي سعد، 1993. ص13).

لهذا نقول إن المخطوط هو كل ما كتب بيد صاحبه أو أملاه على تلميذه أو على كاتب كتبه أيضا بيده، مع التأكد والتدقيق قي نسبته إلى مؤلفه، دون النظر إلى عصره هل هو قبل ظهور المطبعة والطباعة أم بعد ظهورهما.

3.تعريف التحقيق:

لفظة التحقيق جاءت مصدرا من الفعل (حقق يحقق تحقيقا)، وأصله من الفعل المضعف العين (حقّ)، وقد تولدت عنه معانٍ عدة، يرى ابن فارس أنها تدور حول إحكام الشيء وصحته، ويقال ثوب محقق إذا كان محكم النسج. ويقال: حققت الأمر وأحققتُه: أي كنت على يقين فيه(عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، 1994. ص35). ويقال: أحققت الأمر إحقاقا إذا أحكمته وصححته (عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، 1994. ص35) وحققت العقدة أحقها: إذ أحكمت شدها(عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، 1994. ص35)، ويلخصها (في أنها تدور حول: إحكام الشيء وصحته والتيقن والتثبت ولاشك أن هذه المعاني لها ارتباط وثيق بالمدلول الاصطلاحي للتحقيق" (عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، 1994. ص35).

اصطلاحا: تحقيق المخطوط هو " بذل عناية خاصة به حتى يصح عنوانه واسم مؤلفه ويثبت نسبة الكتاب إليه، ويكون متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه"(عبد السلام هارون،1998. ص 39). ويفصل هذا التعريف في أهم ما يركز عليه المحقق أثناء مهمته قبل أن يصل إلى مرحلة دراسة المتن، وهو ما يجعله أكثر إجرائية من غيره. ولم يكتف عبد السلام هارون بتعريف التحقيق، بل لفت نظر الدارسين إلى ما يُشبَّه للكثير أنه تحقيق ليضبط المعنى بدقة، وخاصة مع تزاحم المؤلفات في هذا المجال، حيث يقول: " فليس معنى تحقيق الكتاب أن نلتمس للأسلوب النازل أسلوبا هو أعلى منه، أو نحل كلمة صحيحة محل أخرى صحيحة بدعوى أن أولاهما أولى بمكانها، أو أجمل أو أوفق، أو ينسب صاحب الكتاب نصا من النصوص إلى قائل وهو مخطئ في هذه النسبة، فيبدل المحقق ذلك الخطأ ويحل محله الصواب، أو أن يخطئ في عبارة خطأ نحويا دقيقا فيصحح

خطأه في ذلك، أو أن يوجز عباراته إيجازا مخلا فيبسط المحقق عباراته بما يدفع الإخلال، أو أن يخطئ المؤلف في ذكر علم من الأعلام، فيأتي به المحقق على صوابه...ليس تحقيق المتن تحسينا أو تصحيحا، وإنما هو أمانة الأداء التي يقتضيها التاريخ، فإن متن الكتاب حكم على المؤلف وحكم على عصره وبيئته، وهي اعتبارات تاريخية لها حرمتها، كما أن ذلك الضرب من التصرف عدوان على حق المؤلف الذي له وحده حق التبديل والتغيير"(عبد السلام هارون،1998. ص 46). أما صلاح المنجد فيعني التحقيق عنده " تقديم المخطوط صحيحا كما وضعه مؤلفه، دون شرحه (صلاح الدين المنجد، 1987. ص 15، وهو أيضا " إخراج الكتاب على أسس صحيحة محكمة من التحقيق العلمي في عنوان، واسم مؤلفه، ونسبته إليه، وتحرير من التصحيف والتحريف، والخطأ والنقض والزيادة " (عبد الهادي الفضلي،1982. ص36).كما أن تحقيق المخطوطات هو " الاجتهاد في جعلها (أي النصوص) مطابقة لحقيقتها في النشر كما وضعها صاحبها ومؤلفها من حيث الخط واللفظ والمعنى" (عبد الهادي الفضلي،1982. ص36).

4.شروط تحقيق المخطوط:

يقتضي التحقيق مجموعة من المواصفات التي يلتزم بها المحقق، فيبدع في عمله ليرتقي بالمخطوط، من النقل إلى التصحيح والتأويل العلمي الصحيح، منها:

-الحرص على اختيار النسخ المعتمدة للتحقيق، وتحديد الأصل منها.

-التكامل المعرفي منهجاً لدراسة المخطوطات وتحقيقها: على المحقق أن يكون عالما متخصصا بموضوع المخطوط أو النص الذي يريد تحقيقه (عبد الهادي الفضلي،1982. ص37). وهو ما يسميه الأستاذ شعيب منيف(التكامل المعرفي منهجا لدراسة المخطوطات وتحقيقها).

ويضع محمد عسيلان شروطا أخرى نلخصها فيما يأتي(عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، 1994. ص41):

-الحب والتعلق بتراثنا المخطوط، ومعايشته وتوثيق الصلة به على نطاق واسع، قراءة ودراسة وخبرة ودراية بأسراره ودقائقه وخصائصه وأساليب تدوينه، ومناهج كتابته وأنواع خطوطه، فحسب رأي سعد الله التراث هو " نحن في الماضي، هو أسلافنا وأفكارنا وعقائدنا وإنتاجنا "(أبو القاسم سعد الله، 2011. ص 186).

-الخبرة والتمرس بتحقيق المخطوطات، والدراسة الواسعة بأصول تحقيقها، ومعرفة أصولها، وما كتبت به من خطوط متنوعة مشرقية ومغربية، وفارسية.

-الأمانة العلمية التي تقتضي تحرير النص وتصحيحه، والاجتهاد في إخراجه على الصورة التي تمت به على يد مؤلفه دون أي تصرف، أو تقويم بنقص أو زيادة دون أساس علمي مكين يعتمد على أصول التحقيق. وبالتالي البعد على العبث بالتراث من تحريف وتغيير وتبديل وحذف، انطلاقا من الأهواء الشخصية أو المذهبية، أو العبث بإخراجه على أي شكل وصورة رغبة في الاستكثار، وتحقيق المكاسب المادية أو بالسطو على جهود الآخرين، وإخراج الكتاب باسم مزيف.

الإحساس بقيمة التراث العلمي والفكري إحساسا ينبع من الإيمان العميق بدوره الفعال في بناء حضارة الأمة عن طريق إحياء تراثها.

الصبر والأناة: لأن المحقق كثيرا ما تواجهه مشكلات وصعوبات قد تتطلب وقفات طويلة ومتأنية للوصول إلى علاجها الصحيح عن علم ويقين. وفي هذه الصفة المهمة يقول الباحثأبو القاسم سعد الله (أبو القاسم سعد الله (1930- 2013): باحث وناقد ومحقق وشاعر جزائري حقق الكثير من الكتب في التاريخ والرحلة والأدب، منها: (رسالة الغريب إلى الحبيب لأحمد بن أبي عصيدة البجائي)، (حكاية العشاق في الحب والاشتياق لمحمد

بن مصطفى بن براهيم) سنة 1977م، و(مختارات من الشعر العربي جمع المفتي أحمد ابن عمار) سنة 1991م، و(رحلة ابن حمادوش ـــ لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال) سنة 1982م، و(شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون) سنة 1986م، و(منشورات الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية لعبد الكريم الفكون) سنة 1987م، (أعيان من المشارقة والمغاربة تاريخ عبد الحميد بك)، (محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني)) : " لو قيل لي عن التعب الذي سيصادفني من جراء تحقيق هذه المخطوطة - رحلة ابن حمادوش الجزائري-قبل الإقدام عليه لما صدقته، أو لما أقدمت أصلا عليه.وعلى كل حال فقد أصبحت الآن لا أغبط المحققين للنصوص القديمة تحقيقا علميا، لأنهم بدون شك يعانون الكثير ويربحون القليل، وكل جزائهم فيما يبدو هو رضى النفس والوفاء لصاحب النص وراحة الأجيال (عبد القادر شرشار، مجلة النور اللندنية. عدد 154).

- سعة الاطلاع على كتب التراث ومصادره: في مختلف جوانب العلم والمعرفة، ومعرفة مناهج المؤلفين وتوجهاتهم العلمية، وطرق البحث في مصنفاتهم حول شتى العلوم، مما يساعد المحقق على تحرير وتوثيق نصوص الكتاب الذي يعمل على تحقيقه على النحو الأمثل.

4. أهمية تحقيق المخطوط:

تتمظهر هذه الأهمية على مجموعة من الأصعدة (الفني، الثقافي، التاريخي، الوطني، الديني والإنساني)، إذ تشكل المخطوطات جزءا هاما من التراث الذي أبدعته الحضارة العربية والإسلامية المختلفة في شتى حقول المعرفة الإنسانية، من تاريخ وجغرافيا وأدب وفن وطب وكيمياء وفلك وسائر العلوم. ويَعتبِر أبو القاسم سعد الله أن " تحقيق مخطوط قديم عمل فني وهادف في الوقت نفسه؛ فهو عمل فني: لأنه يقوم على قواعد أساسية، ويتطلب مهارة وإخلاصا وتجردا، وقليل من الناس فقط في كل أمة وكل جيل يستطيعون القيام بهذه المهمة الثقافية الدقيقة. أما كونه عملا هادفا: فلأن بعث المخطوط يخدم فكرة وبالتالي مصلحة وطنية وإنسانية، ولعل هذه من الحالات النادرة التي يجمع فيها المرء بين إخلاصه لفنه وإخلاصه لهدفه الإنساني" (أبو القاسم سعد الله، 1981. ص 357).

كما أن الكثير من البحوث الموضوعية في مختلف العلوم لا يمكن أن تتم إلا مبنية في جزء كبير منها على نصوص تراثية،وبتحقيق هذه النصوص يتم تفعيل وظيفتها الإنسانية الفكرية والعلمية والأدبية مما يعطي صورة حية وفكرة صادقة عن إسهام العلماء العرب والمسلمين في ترقية وتطوير الفكر الإنساني. لذلك يقول الخبراء: إن قضية النصوص هي القضية الأساس التي يجب أن تواجه من قبل جميع الدارسين بحزم وإلا ظلت البحوث مشوهة ومعطلة, والدراسات ناقصة والصور والرؤى مضطربة والأحكام العلمية العامة غير ممكنة, كما أن كثيرا من القضايا والمعارف يساعد على فهمها بشكل صحيح العودة إلى أمهات الكتب والمصادر الأصلية من كتب التراث، وذلك طبعا لن يتحقق إلا بإخراج تلك المخطوطات والمصادر محققة إلى النور، لهذا يجب أن توجه الجهود إلى هذا العمل الجليل وبذل الوسع في تحقيق المخطوطات التي يتراوح عددها مابين ثلاثة ملايين إلى خمسة ملايين مخطوط، موزعة في مكتبات العالم العربي، وفي أوربا وأمريكا وبعض دول آسيا (فهمي سعد، ص 5).ويؤكد الباحث المغربي) عبد الله كنون)ذلك قائلا: "إن تراثنا عظيم وغني فهو من عظم التراث الإنساني وأغناه بلا جدال، ويقدر الخبراء في ميدان الفكر والتراث العلمي والأدبي العربي بما لا يقل عن ثلاثة ملايينمن الكتب المخطوطة المحفوظة في مكتبات العالم، وتتناول علوم الفلسفة والتشريع واللغة والتاريخ والأدب والطب، والهندسة والفلك والرياضيات وتقويم البلدان والتراجم...وغيره ذلك (عبد الله كنون،1986. ص246).

أما عن الأهمية التاريخية والوطنية، فتتبدى في مواجهة أعداء الأمة المباشرين من الاستعمار الثقافي، أو غير المباشرين من خطر تبشيري يقوم به المبشرون أو المستشرقون، وهو ما يؤكده (عبد السلام محمد هارون) قائلا: " هذا التراث الضخم الذي آل إلينا من أسلافنا صانعي الثقافة الإسلامية العربية جدير بأن نقف

أمامه وقفة الإكبار والإجلال، ثم نسمو برؤوسنا في اعتزاز وشعور صادق بالفخر والغبطة والكبرياء. إن هذه الصيحات التي يرددها دعاة الاستعمار الثقافي يبغون بها أن ننبذ هذا التراث ونطرحه وراءنا ظهريا صيحة في واد. وكم لهم من محاولات يائسة يدورون بها ذات اليمين، وذات الشمال كي يهدموا هذا الصرح، ولكن تلك المحاولات لم تجد لها صدى إلا عند من أمكنهم أن يضفوا على أنفسهم ظل الاستعباد الثقافي من ضعاف القلوب، وأرقاء التفكير" (عبد السلام محمد هارون، ص 05) ،يكشف لنا هذا القول عظمة تراثنا ومنه عظمة وأهمية العمل على تحقيقه ودراسته، وأن نخصه بالاهتمام البالغ، فبالإضافة إلى أنه مبعث فخر واعتزاز أمام الأمم، إلا أن هناك خطرا وشيكا يتربصه في كل حين من أعداء الأمة، وبخاصة بعض المستشرقين الذين شوَّهوا الكثير منه من جهة، ووسموا مابقي بالتخلف والرجعية رغبة منهم في إبعاد الأجيال عنه، لحجب ما فيه من منفعة تاريخية وعلمية ومعرفية وحضارية. كما أنه يعتبر من المصادر الهامة للتراث لذا فإن تحقيق المخطوطات ضمن منهجية صحيحة وقواعد متفق عليها يؤدي خدمة ثقافة الأمة. ونظرا لخطر الاستشراق الذي يبدو في ظاهره صديقا إلا أنه في حقيقته تهديدا لنقاء التراث وسلامته من التزييف؛ حيث سعت جهود المستشرقين لتتبع التراث العربي الإسلامي عامة والمخطوط خاصة من أجل دراسته ونقل ما فيه من علوم تطبيقية وترجمتها والاستفادة منها، وكذا العلوم الإنسانية. إلا أن جهودهم لم تكن نقية وصادقة، فرغم ما يبدو أنهم قدموه لأمتنا إلا أنهم شوهوه بقدر كبير سواء عن قصد أم بغير قصد ومن أمثلة ذلك (عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، ص 47). فظهر في كتبهم الكثير من التصحيف والتحريف الكبيرين في الكتب المحققة، باعتبارهم ليسوا أبناء اللغة العربية، مما يسيء لمتن ومحتوى المخطوط كثيرا. كما أنهم أهملوا الكثير من المخطوطات القديمة أثناء تحقيقهم، رغم أهميتها والتي يوجد الكثير منها في المكتبات التركية مثلا.

4. تحقيق سعد الله لحكاية العشاق في الحب والاشتياق:

رغم الأهمية الكبيرة التي أشرنا إليها فيما يخص علم المخطوطات وتحقيق هذه الكنوز الثمينة، وما تحمله للأمة وللأجيال من ثروة علمية وثورة معرفية لتغيير واقع الأمم وتطويره والارتقاء به إلى الأمثل، إلا أن المتفحص لواقع التحقيق والكتب المحققة المتزاحمة في الساحة العلمية، يجد الكثير من التشويه لهذا الواقع، وبخاصة عندما يجانب المحقق أو عملية التحقيق أصول التحقيق في أداء هذه المهمة التي تتطلب الدقة والحرص والرعاية، مما جعل هذا الواقع يكتظ " بكتب التراث المحققة تحقيقا هزيلا يشيع فيه التصحيف والتحريف، والخلل والأخطاء العلمية في التعليقات إلى درجة يتمنى فيها المرء لو أن تلك الكتب خرجت بدون ذلك التحقيق الذي عدمه أجدى وأنفع من وجوده " (عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، ص 47). وفيما يلي سنقف على ما يجعل قراءات المحققين مشوَّهة ومشوِّهة للنصوص والمتون (اعتمدت في وضع هذه العناصر التي تجعل عملية التحقيق مشوهة على كتاب تحقيق المخطوط بين الواقع والمنهج الأمثل لعبد الله بن عبد الرحيم عسيلان):

- عدم اختيار المحقق للنسخة المناسبة: رغم كثرة المخطوطات إلا أنها تتفاوت من حيث الأهمية والدرجة والمحتوى باعتبار الموضوع في حد ذاته، وكذا باعتبار حاجة العصر لهذا المخطوط, كما أن هناك مخطوطات لا حاجة لتحقيقها باعتبار ما تحمله من ضرر أكثر من نفعها للأمة وللمجتمع، ويقسم (سعد الله) التراث المخطوط إلى نوعين؛ فهناك التراث الشامخ: الذي يعبر عن أصالة الأمة وإسهامها الحضاري، والتراث الذي يعني الأساطير والخرافات وأشكالا متعددة من مظاهر التخلف العقلي" (أبو القاسم سعد الله، ص 32)، إذن "فالمخطوطات على ما لها من قيمة تراثية لا تنكر، إلا أنها تتفاضل قيمة وأهمية، وموضوعا ومنزلة وقدما وتوثيقا وصحة وضبطا، ولا ينقص من قيمة المخطوطات أن نقدم في التحقيق والنشر الأهم منها على المهم من حيث الموضوع والقيمة التاريخية وما تقدم من فائدة عامة للعلم والمعرفة، ولا ضير أن نصرف النظر عن نشر المخطوطات التي لا جدوى تذكر من نشرها، ... ولا يتنافى ذلك مع البعد عن ما يؤثر سلبا في بناء الأمة من مخطوطات يكون من الخير لها بقاؤها مطمورة؛ مثل كتب السحر والكهانة والتنجيم والعقائد المنحرفة، والأفكار الهدامة " (أبو القاسم سعد الله، ص 49).

- اعتماد المحققين على الفروع وإهمال الأصول: هناك من يتوجه لكتب الفروع وتُبذَل من أجل تحقيقها الجهود الكبيرة في حين لابد من ترتيب أولويات التحقيق والتركيز على كتب الأصول ومخطوطات القرون الأولى التي تتميز بالأصالة والتوثيق والابتكار. أو إعادة تحقيق ما حقق دون حاجة ملحة لذلك، وإهمال ما في المكتبات من كنوز لم تحقق بعد.

- اعتماد المحقق على النسخ الهزيلة: قد يتهاون المحقق في البحث عن النسخ الأصل، أو الأقرب إلى الأصل، ويكتفي بنسخة واحدة مع وجود أكثر من نسخة متاحة قد تحمل فروقا وزيادات وتصويبات، حيث يؤدي ذلك لخروج العمل لمحقق ناقصا ومشوها.

- نقص الدقة والعناية بالمخطوط: حيث يؤدي إلى تفشي الأخطاء والتصحيفات والتحريفات فيما ينشر من كتب محققة، وهذه الظاهرة كثيرة جدا فيما حقق من نصوص مما أثار النقاد في هذا المجال لتوجيه نقدهم لهؤلاء المحققين الذين أساؤوا لنصوص نذكر من ذلك: نقد عبد السلام محمد هارون لمحمد الحلو في تحقيقه لكتاب التمثيل والمحاضرة (أبو القاسم سعد الله، ص 55).

- تصرف المحققين بالتصرف بالزيادة والنقصان: يتمثل ذلك في الإضافات الكثيرة إلى صلب النص من كتب أخرى، وهذا يتنافى مع أصول التحقيق - حسب رأي سعد لله-، حيث قد " يضيف الكتاب إلى نصه حرفا أو لفظا يقتضيه السياق، ويضعه بين قوسين تنبيها على ذلك. أما أن ينقل المحقق إلى صلب النص عبارات وجملا كاملة من كتب أخرى، دون حاجة إلى ذلك، فهو ما لا نستطيع تعليله. إن المحافظة على نص المؤلف كما كتبه من أقدس الواجبات في التحقيق، وإذا ارتأى الناشر أن تلك الإضافات مما يفيد الباحث فمكانها في الهامش لا في صلب النص، على أن تكون مختصرة " (أبو القاسم سعد الله، ص 58).

- تهاون بعض المحققين في النسخ والمقابلات:مما يؤدي إلى سقوط بعض الكلمات بسبب انتقال النظر، أو عدم الدقة والجنوح إلى العجلة. إذ لا بد من التأني وإعمال النظر في هذه النصوص القديمة، ومقارنة نسخها وتكرار قراءتها حتى يستقر المحقق على الأنسب والأصوب منها كي لا يخرج لنا نصا مشوها ومغلوطا، لأن أجيالا سوف تبني عليه معارفها وبحوثها، وقد أحاط (سعد الله) هذه النقطة اهتماما كبيرا، فيقول منطلقا من تجربته في التحقيق: " ليس غريبا أن يقول أحد المحققين إنه قرأ المخطوط الذي يحققه عدة مرات تصل إلى العشرة، ذلك أني شخصيا قرأت منشور الهداية (منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية لمؤلفه عبد الكريم الفكون، يذكر المحقق أن المؤلف ألف الكتاب على فترات في شكل مذكرات، وانتهى منه بعد سنة 1635م، الكتاب يحتوي على معلومات هامة حول الحياة الاجتماعية في الإقليم القسنطيني (قسنطينة)، بما فيها علاقات العائلات بعضها ببعض، وعلاقة العائلات بالسلطة المحلية والوطنية والمناصب المفتوحة أمام العلماء، والوظائف المخزنية ونحوها، ويذكر ابن الفكون بهذا الصددالفتن التي شهدتها المدينة وامتحانات السلطة للعلماء وارباب الوظائف، وإشارات هامة للصلات بين المدينة والريف، وكذا الحديث عن بعض علماء المغرب وعلماء تونس وعلماء المشرق في الجزائر.) أكثر من ذلك" (شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، 1987. ص22).

- تغيير عنوان المخطوطة: يتصرف بعض المحققين في عناوين المخطوطات، بإهمال العنوان الأصلي ليصبح ثانويا، ووضع عنوان حديث في الصدارة (شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، 1987. ص59) وهذا مرفوض وليس من أصول التحقيق من شيء؛ إذ لابد على المحقق أن يحافظ على المخطوط كما هو في أصله، وكل إضافة توضيحية يضيفها إن اقتضى الأمر ينبه إليها في بداية تحقيقه للكتاب ويضعها بين قوسين، كي لا يوهم القارئ أنها من صلب المخطوط وهذا من الأمانة العلمية.

- عدم تمرس المحقق في قراءة الخطوط القديمة: وهي مشكلة كبيرة تواجه المحققين، فقد يضطر المحقق إلى حذف بعض الكلمات التي لا يستطيع فهمها أو التغاضي عنها، أو إبدالها بكلمات أخرى لا تؤدي معناها بدقة أو

لا تؤدي المعنى أصلا متجاهلا الأمانة العلمية، وقد ينجرُّ عن هذا العجز عند المحقق استبعاد نسخ بأكملها نظرا لصعوبة خطها، مما يجعل النص المحقق يُنشر مشوها وناقصا. حيث يستوجب على المحقق أن يبحث عن طريقة قراءة الخطوط القديمة أو يستعين بالعلماء ذوي الدراية من دون استعلاء، حتى يصل بالمخطوطة إلى الأعلى والأمثل. وهو ما نجد الباحث أبا القاسم سعد الله يقوم به في تحقيقه للمخطوطات الجزائرية حيث يعترف – في تواضع ينم عن موضوعيته وعلمية منهجه - في تحقيقه للرواية (حكاية العشاق في الحب والاشتياق) لمحمد بن مصطفى بن براهيم، أثناء مقارنته لخط التقييدات بخط نص الرواية أنه استعان بمن لهم دراية في الخطوط العربية، يقول: " كنت ذات مرة أقابل النص مع الشيخ الطاهر التليلي القماري" (شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، 1987. ص59)، أين توصل إلى أن كاتب النص هو المؤلف نفسه محمد بن براهيم.

- انتزاع المحقق بعض الأبواب من الكتب المنشورة، دون الإشارة إلى ذلك في بداية التحقيق، مما يوهم القارئ أنه يتعامل مع النسخة كاملة، وهذا ليس من أصول التحقيق، ومسؤولية أمام التاريخ.

- عدم التزام المحقق بمنهجية مرحلة (مقدمة تحقيق المخطوط) من: (ترجمة مؤلف المخطوطة، التعريف بموضوع الكتاب ومادته ومنهجه ومصادره – التحقيق في عنوان الكتاب – تحقيق نسبة الكتاب لصاحبه – وصف النسخ المعتمدة في التحقيق – بيان منهج التحقيق)، إذ أن هذه الدراسة في مقدمة تحقيق المخطوط تجعل عمل المحقق يتميز بالأمانة العلمية وتضفي عليه الجدية والاكتمال وكذا تجعل القارئ يطمئن للكتاب الذي وضعه المحقق بين يديه.

- عدم التزام المحقق بمنهجية صنع الفهارس: تعتبر الفهارس من أهم العناصر التي يجب الاعتناء بها أثناء التحقيق، فلا بد للمحقق من صنع جميع أنواع الفهارس التي تقتضيها طبيعة موضوع ونص المخطوط، إذ يفرط بعض المحققين في وضع الفهارس مما يدخلهم في الترف ويضخم حجم الكتاب دون فائدة لمحتوى المخطوط، في حين قد يُفَرِّط بعض المحققين في وضع فهارس مهمة ولها علاقة مباشرة وضرورية بمضمون الكتاب وتوضيحه وتفهيمه، فيهملها ويستغني عنها، مما يخل بهذا المضمون؛ حيث إن " كثيرا من المخطوطات تحتوي على كنوز مخبوءة من المعارف والعلوم والفنون والموضوعات، ولا يميط اللثام عن دررها ومكنونها سوى الفهارس المفصلة التي توضع على أساس علمي يراعى فيه موضوع الكتاب ومادته"(شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، 1987. ص80).ونجد مثال ذلك في تحقيق أبي القاسم سعد الله لرواية حكاية العشاق) حيث ذيَّل العمل بفهارس عن التعابير الحضارية، منها: (المآكل، الملابس، الزينة، الطيب، الطرب والنزهة، المنازل ولوازمها، البيئة العامة)، ثم الحكم والأمثال، التعابير السياسية، الأعلام، الأماكن، الكتب والدوريات. وهي فهارس مهمة جدا تدل على جهده الصادق والمتميز، تسهيلا لفهم محتوى النص وفهم الجو العام للرواية، وقد رتبها ترتيبا أبجديا لفهم الجو النفسي والسياسي والاجتماعي للنص. كما شرح طريقة قراءة هذه الفهارس لتسهيل القراءة والاستفادة.

5. خاتمة:

إذن أمام هذه الأهمية للتراث المخطوط وتحقيقه، أصبح الاهتمام به وبدراسته ونشره والاستفادة من خبرات السابقين من العلماء المسلمين وغيرهم ضرورة ، بل نستطيع أن نقول أنه واجب على كل الباحثين المتخصصين الذين استطاعوا أن يتمكنوا من هذا العلم ويتقنوه، فيخرجون لنا دررا وكنوزا نبني عليها حاضرن ونستشرف من خلالها مستقبلنا بطريق صحيح، كما أن الهدف من كل الجهود العلمية الصحيحة التي بذلت طيلة هذه الفترة الماضية، قد تكون ترغيبا للباحثين في الاشتغال في هذا الحقل الحيوي الهام، كما يمكن أن تكون دعوة للهيئات العلمية ولمراكز البحث لتزويد المخابر العلمية بالمخطوطات، لتمكينها من توجيه الباحثين للاشتغال بالتحقيق ونقد النصوص التراثية. كما يمكن أن نقول إن العمل الفردي في تحقيق المخطوطات وبخاصة كبيرة الحجم ظاهرة أصبحت اليوم غير مثمرة نظرا للمعطيات البحثية الكثيرة، لذا لابد أنتسند لفرق

بحثية تنشطها جماعات بحثية منسجمة تتبادل الخبرات والمعلومات وتتقاسم المهام، سواء على مستوى البلد الواحد أو على مستوى العالم العربي والإسلامي.

قائمة المراجع:

- سماء زكي المحاسني. (1999). دراسات في المخطوطات العربية. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض، السعودية.
- سعد محمد الهجرسي. (1988). المكتبات وبنوك المعلومات. القاهرة.
- صلاح الدين المنجد.(1987). قواعد تحقيق المخطوطات. دار الكتاب الجديد .لبنان.
- عبد السلام هارون. (1998). تحقيق النصوص ونشرها. القاهرة. مكتبة الخانجي.
- عبد القادر شرشار. القاسم سعد الله محققا وناقدا. مجلة النور اللندنية. عدد 154.
- عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان.(1994). تحقيق المخطوط بين الواقع والنهج الأمثل، الرياض، مطبوعات الملك فهد الوطنية.
- عبد الله كنون. 1986. نحن والتراث. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ج 58.
- عبد الهادي الفضلي.(1982). تحقيق التراث . مكتبة العلم.جدة, السعودية.
- فهمي سعد. (1993). تحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق.لبنان. عالم الكتب.
- أبو القاسم سعد الله. (1981). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائري. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.